من أخطاء التربويين الغربيين

في حق المسلمين

د. حسان محمد حسان

ليس المقصود بهذه الدراسة الرد على اتهامات المستشرقين أو ما تسلل إلى الكتب التربوية العربية من أخطاء في حق الإسلام والمسلمين، بل المقصود مناقشة وتحليل بعض ما جاء في الكتب التربوية الأجنبية وتعرضها بالدس والبث، والغمز واللمز للقرآن الكريم والرسول الأمين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

بطبيعة الحال لا تعنى هذه المقدمة كل الكتب التربوية الأجنبية، بل بعض المصادر الأساسية التي كتبت بالانجليزية. ولذلك فالمادة المعروضة هنا مجرد نماذج وأمثلة، بوقائع وأدلة، فالحصر مستحيل، والشمول غير ممكن.

وفي حدود بعض المصادر المتوافرة الآن أمام كاتب هذه السطور يمكن الاشارة إلى الأخطاء الثمانية التالية : ـ

١ ـ زعمهم أن القرآن من صنع الرسول الكريم

إذا كان المؤلف الغربي غير مؤمن بالإسلام كرسالة سماوية، فمن المؤكد أنه سينظر إلى القرآن الكريم، على أنه مجرد كتاب بشرى، من صنع فرد أو أفراد، لهم اجتهادات واتجاهات، إيجابيات وسلبيات، وربما يكون جل اهتمامه مركزا على السلبيات ! !

بطبيعة الحال هذه الفكرة راسخة عند مئات المؤلفين الغربيين، من أهل التربية ومن غير أهلها. والمهم لهذه الدراسة الآن عرض الفكرة السابقة، كما وردت في أحد الكتب التربوية الهامة التي تعلم منها واعتمد عليها آلاف من الاساتذة والطلاب منذ عام ١٩٣٦ وحتى الآن أي ما يقرب من نصف قرن!!

وهذا الكتاب اسمه أصول التربية الحديثة The Foundations of Modern Education?

ويركز على مناقشة الأصول والأبعاد التاريخية للمذاهب التربوية المعاصرة. وفي الفصل الذي عقده مؤلفاه ايلمر وايلدز وكينيث لوتش عن « الاتجاه الإسلامي في التربية » أكدا ظلما وعدواناً، وبدون دليل أو سند « أن القرآن كتاب مشتت، في جزء منه ممل، وفي جزء آخر رائع جميل، وعموما فهو خليط من عناصر يهودية ومسيحية وغيرهما من الديانات السابقة »(١).

وإذا كانت فكرة المؤلفين بهذه الجدية والقطعية فلا بد أن تبنى عليها نتائج جد خطيرة، وآثار غاية في الأهمية، وهذا ما ستوضحه النقطة التالية..

٢ ـ الخلط بين القرآن والحديث

إذا كان القرآن من تأليف البشر، فلا بأس أن يختلط بالحديث والأثر! هذه مسلمة من بين المسلمات التي يبنى عليها وايلدز ولوتش كتابهما بدون إعلان أو إفصاح.

من هنا يكرران في كتابهما أن المسلمين اهتموا بالعلم والتعليم بحكم أن القرآن دفعهم إلى ذلك وحثهم عليه « فقرآن المسلمين ورد فيه أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، كما أنه يطالبهم بطلب العلم ولو في الصين، ويقول لهم إن العلماء ورثة الأنبياء »!!(٢)

وهكذا لم يكلف المؤلفان ـ اللذان شغل أولهما كرسي التربية بجامعة غرب ميتشجان، وشغل الثاني كرسيها في جامعة مونتانى ـ لم يكلفا أنفسهما قراءة القرآن الكريم، أو الاستعانة بالمختصين للتمييز بين الآيات والأحاديث.

والغريب في الأمر أن كل الجامعات ـ غربية وغير غربية ـ توجه طلابها للموضوعية

والأمانة، والدقة وحسن النقل، ثم يرتكب أستاذان قطبان مثل هذا الخلط والتداخل، والتجاوز والاضطراب.

والمؤكد أن مئات الكتب ـ تربوية وغير تربوية ـ حافلة بتحريفات وتشوهات بحكم أن مؤلفيها لا يعترفون بسماوية القرآن، ولا بأن رسولنا الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين.

وإذا كان الإسلام دينا موضوعيا مصنوعا، فلا شك أنه انتشر بالقمع والإرهاب، والرمح والنشاب وهذا ما ستكشف عنه النقطة التالية :

٣ ـ انتشار الإسلام بالسيف

يقول وايلدز ولوتش : ـ

« بعد وفاة محمد عليه الصلاة والسلام تولى زميله أبو بكر الخلافة وانطلق مقررا نشر الإسلام بالفتح والسيف..

انطلق المسلمون ناشرين الإسلام بالسيف.. وفي مدة عشر سنوات خضعت الجزيرة العربية بكاملها. من هنا أصر أبو بكر ـ بإيمان يزحزح الجبال ـ على أن يحمل نفسه مسئولية إخضاع العالم كله للإسلام. ولو كان هناك عدد كبير من الرجال مثل أبى بكر لربما نجحت هذه المحاولة »(٣).

واضح من النص السابق أن صاحبيه لم يكلفا أنفسهما مراجعة التاريخ لمعرفة أخبار الغزوات والفتوحات في عهد النبى عليه الصلاة والسلام، ودوافعها ومبرراتها. كما أنهما لم يتابعا الأحداث بعد انتقاله للرفيق الأعلى، وما حدث خلال حروب الردة، ومحاولات الفرس والروم للقضاء على الإسلام، وهو ما زال في مراحله الأولى. والذي لا شك فيه أن مئات المؤلفين الغربيين قدموا الإسلام بهذا التشويه، فتعرف عليه الملايين بصورة عكسية، وتفسيرات مضللة.

ويبدو أن وايلدز ولوتش ـ وغيرهما ـ لم يقتنعا بما كتبه المعتدلون من الغربيين، بحكم أن أمور العقيدة تتأثر بوجهات النظر، وأساليب التنشئة والتطبيع، والتوجيه والتشكيل، وتتدخل

فيها رواسب شعورية ولا شعورية. ومن جراء كثير من التشوهات والعقد لن يستطيع هؤلاء المؤلفون تجاوز الاوهام والاكاذيب إلى الحقائق والاصول. ولهذا كانت عبارة المفكر النمساوي «ليوبولد فاسي» الذي هداه الله إلى الإسلام واشتهر باسم محمد أسد، أقول كانت عبارته صادقة وحارة، ثاقبة ونفاذة حين قال :

> « إن روح الحروب الصليبية ـ في شكل مصغر على كل حال ـ ما زال يتسكع فوق أوربا، ولا تزال مدنيتها تقف من العالم الإسلامي موقفا يحمل آثارا واضحة لذلك الشبح المستميت في القتال.. »(٤)

والحق أن عبارة محمد أسد تكشف عن مشاعر ووجدانات عاشها عندما كان مسيحيا. ثم كشف عنها عندما دخل في الإسلام عن قناعة ورضى، بدون سيف أو ارهاب. ومن ثم تسقط حجج الكثيرين في الماضي والحاضر. ولو كان الأمر أمر سيف وإرغام لما تفجرت كل هذه الطاقات، وانبجست كل هذه الإبداعات من الذين دخلوا في الإسلام بعد جيل وجيلين، وفي أقل من قرنين.

بطبيعة الحال، ليس الموقف الآن موقف رد أو دحض لهذه الاتهامات، لأن الحقائق واضحة جلية للقارىء العربي ولا تحتاج إلى إيضاح وتفسير.

٥ ـ المسلمون مفسرون أكثر منهم مبدعين

اما ما في كتاب وايلدز ولوتش فهو تأكيد على أن العرب متمثلين أكثر منهم مبدعين للثقافة، بحيث لم يطوروا مدرسة فلسفية جديدة، بل اقتصروا على تمثل الفلسفة اليونانية وشرحها. ففي المشرق والمغرب الإسلامي تعرف أهل الإسلام على فلسفة أرسطو، فترجموها وشرحوها.(٦)

وكاتب هذه السطور، وأي باحث منصف آخر لا ينكر دور الفلسفة اليونانية في تزويد الفكر الإسلامي واثرائه بالعديد من الأفكار والمقولات، والاجتهادات والنظريات. ولا شك أن القارىء للكندى والفارابى، وابن سينا وابن رشد يلمح آثار الأرسطية واضحة جلية، إلا أن

ذلك لا ينبغى أن يحجب الضوء عن مفكرين مسلمين كان لهم فضل الريادة والابتكار، والابداع والازدهار. ومن أهم هؤلاء المفكرين الفقهاء والمحدثون، وأصحاب العلوم الطبيعية والطبية والرياضية والفلكية، والبحرية والجغرافية، فهؤلاء العلماء والباحثون قدموا علوما جديدة وفروعا مستحدثة ليس لليونان فضل سبق فيها، أو عمق إضافة إليها.

والخطأ الكبير الذي يقع فيه المفكرون الأجانب، وقطاع كبير من المسلمين المشتغلين بشئون « الفلسفة الإسلامية » أنهم يركزون على قطاع واحد من المفكرين المسلمين.

فكل التركيز والاهتمام على الكندى والفارابى، وابن سينا وابن رشد، وابن باجه، وابن طفيل، وابن مسكويه واخوان الصفا وكلهم جميعا من الذين اعتالوا على الفكر اليوناني،وعولوا عليه. لهذا فالقارىء لهم يشعر أنه يقرأ فلسفة يونانية مترجمة إلى العربية!!(٧)

لهذا فالأجدر والأفضل أن نسلط الضوء على قطاع آخر من المفكرين المسلمين لهم خصائص الأصالة والتميز، والاستقلال والتحرر بدون أرسطية وأفلاطونية، وفي ذلك يقول عميد أسبق لكلية الشريعة بجامعة الأزهر : ـ

« ان الذين يعنون بمعرفة الروح والتفكير الإسلامي في مهدهما، عليهم أن يدرسوا ذلك في الفقه الإسلامي الذي لم يتأثر بمؤثرات أجنبية، ولم يدخله دخيل في الفكر أو الطريقة »..(٨)

وإذا كان النص السابق من أصحاب الدراسات الفقهية لشيخنا الدكتور علي حسن عبدالقادر، فالطريف في الأمر أن نفس الفكرة ينادى بها بعض المتخصصين في الفلسفة الإسلامية وهذا ما أكده الشيخ مصطفى عبدالرازق في كتابه الصادر منذ أربعين عاما(٩) ، وما أكده من بعده الدكتور إبراهيم بيومى مدكور، والدكتور على سامى النشار وغيرهما.. من هنا جاء قول أولهما : ـ

« لا يمكن أن نأخذ فكرة كاملة عن التفكير الفلسفى في الإسلام إن قصرنا بحثنا على ما كتبه الفلاسفة وحدهم، بل لا بد أن نمده إلى بعض الدراسات العلمية، والبحوث الكلامية والصوفية، ونربطه بشيء من تاريخ التشريع وأصول الفقه »..(١٠)

وجاء قول الآخر في رسالته للماجستير منذ أربعين عاما : ـ

« حاولت الكشف عن نتاج العبقرية الإسلامية في التوصل إلى المنهج لا في كتب من يدعون فلاسفة الإسلام ـ وهم دوائر منفصلة منعزلة عن تيار الفكر الإسلامي العام ـ بل في كتب ممثلي الإسلام الحقيقيين من فقهاء وأصوليين ومتكلمين وغيرهم من مفكرين مسلمين.. »(١١)

لعله يتأكد من ذلك كله أن الفكر الإسلامي الأصيل والمتميز لا بد من البحث عنه في جوانب أخرى من الحضارة الإسلامية، غير الجوانب المشهورة باسم « الفلسفة الإسلامية » وبذلك نكتشف المنبع الثر، والإبداع الأصيل، والتميز الواضح من غير « فتنة يونانية » وترجمات سريانية!! ولا يقتصر الأمر على الفقه والفقهاء، والعلوم التجريبية والرياضية، والطبية والفلكية، بل يمتد إلى النحو واللغة، والادب والادباء. ومن هنا كانت المناقشات والمساجلات الحية بين النحاة المسلمين والمترجمين من النساطرة واليعاقبة..

وهذا ما ستناقشه النقطة التالية : ـ

٥ ـ الترجمة السبب الأول لنهضة المسلمين تربويا

في الجزء السادس من دائرة المعارف البريطانية مقالة مطولة تقع في اثنتين وتسعين صفحة عن « تاريخ التربية » خصص للتربية اليونانية خمس صفحات، وللتربية الإسلامية صفحة ونصف..

ولا بد أولا من الاعتراف بأن هذه السطور القليلة عن التربية الإسلامية مكتوبة برصانة وعمق، توضح ما فيها من ثراء وتنوع، وعطاء وتجدد. وبالرغم من ذلك بدأت دائرة المعارف البريطانية مقالتها بقولها : ـ

« ان النقل عن الثقافة اليونانية والعبرية واليونانية، والهندية والزرادشتيه، كان العامل الأول لنهضة المسلمين تربويا وتعليميا.. »(١٢)

واستغرق هذا المعنى ـ بتفاصيله ـ سدس ما كتبته دائرة المعارف البريطانية عن تاريخ التربية الإسلامية!!

وأى باحث مسلم لا يستطيع اغفال فضل الترجمة، أو إهمال دورها إلا أن ذلك لا يلغى الإبداع، ولا ينفى الاضافة.

صحيح أن الترجمة كانت مهمة مؤثرة، فعالة مخصبة، قادحة منشطة إلا أن ذلك مرتبط بالإحياء والبعث، والنهضة والوحدة التي أظلت عشرات الشعوب الإسلامية من فرس ورومان، وترك وسودان، وجركس وديلم، وأرمن وأكراد، وكرج وكلدان، وأشوريين وعرب، وهند وسند، وجرجان وألبان..

فكل هذه الشعوب ـ وغيرها ـ نُفخ فيها من روح الإسلام فأعيدت صياغة شخصياتها وثقافاتها من جديد ولهذا اندفعت في حركة الترجمة والنقل، ثم الإضافة والإفاضة، والابتكار والابداع، والتميز والاستقلال فكرا وروحا، أدبا وثقافة، علما وتجريبا، بناء وتشييدا، وإلا لماذا لم تبدع هذه الأمم قبل الإسلام نفس إبداعها بعد الإسلام؟

لماذا لم تتفجر كل هذه الطاقات وتتلألأ كل هذه المعارف إلا بعد شروق شمس الإسلام؟

لا بد أن النُقلة بالإسلام أتاحت النقل لحضارة الإسلام، ولا بد أن الإقلاع بالإسلام أتاح الإبداع في حضارة الإسلام.

وعلى هذا يمكن القول بان االترجمة ـ بالاصطلاح الكيميائي ـ كانت عاملا مساعدا Catalyst أسهم في تحقيق التفاعل دون أن يكون بمفرده السبب في التفاعل، بل لا بد من توافر ظروف وشروط، أسس وقواعد..

إذن فضل الترجمة لا ينكر، انما التركيز عليها فحسب والانطلاق منها أساسا يعطى ظلالا خاصة، وشبهة معينة حول ما كتبته دائرة المعارف البريطانية وغيرها من عيون الفكر الغربى، من هنا قال أحد كتابنا المعاصرين : ـ

« إن أشد مبرزى أهمية الثقافة الإغريقية هم الأوروبيون، أما أن للثقافة الإغريقية أثرا في الثقافة العربية، فهو أمر لا يمكن إنكاره، بل ويُعتز به. غير أن الأسئلة تثار حول مكانة هذه الثقافة الإغريقية في بناء الفكر العربى.

فمن البدهيات أن الفكر العربي في عهد ازدهاره ركز اهتمامه على الجوانب الدينية

والإنسانية، علم الحديث والقرآن، وعلوم اللغة والنحو والأدب، ثم إن المعرفة المتصلة بالمجتمع وتطوراته كالفقه وما يتصل بالسياسة والنظم والاجتماع كانت كلها عربية صرفة ولم يقل أحد إلا القليل من المتزمتين، إنها اعتمدت على الإغريق..

وتتجلى المبالغة في أثر اليونان من ملاحظة واضحة هي أن الحركة الفكرية في صدر الإسلام تركزت في مدن لم يكن للثقافة اليونانية فيها أثر، ثم إن الحركة نمت وتبلورت اتجاهاتها قبل أن تبدأ حركة الترجمة الإغريقية..»(١٣)

وفي النقطة الرابعة السابقة سبقت الإشارة إلى المناقشة بين النحويين والمترجمين وتكفي إشارة خاطفة لحوار ساخن دار بين أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس..

يقول أبو سعيد السيرافي في رده على متى : ـ

« إذا سلمنا أن الترجمة صدقت وما كذبت، وقومت وما حرفت، ووزنت وما جزفت، وأنها ما التاثت ولا حافت، ولا نقصت ولا زادت، ولا قدمت ولا أخرت، ولا أخلت بمعنى الخاص والعام، ولا بأخص الخاص ولا بأعم العام، فكيف نسلم بأن لا حجة إلا عقول يونان، ولا برهان إلا ما وضعوه، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه؟ »(١٤)

مثل هذه المناقشات ـ وغيرها ـ تكشف على أن الكثير من أعلام المسلمين ناقشوا الترجمة والمترجمين مناقشة علمية موضوعية، مركزين على المحاذير والمخاوف، وفي نفس الوقت أضافوا وأفاضوا في علوم وفنون لم يكن للترجمة فيها نصيب وافر، أو جهد واضح.

ويكفي القول أن تعليم المسلمين انطلق وبدأ من تعليم القرآن الكريم، وحفظ ورواية الشعر العربي، والتفقه في أمور العقيدة والشريعة، العبادات والمعاملات. وكل هذه أمور بدأت في مسجد ومكتب ليس فيها للترجمة نصيب، بل ليس إليها للمترجمين دخول!!

٦ ـ الإسلام خال من الفلسفة التربوية

يكاد لا يوجد دارس لفلسفة وتاريخ التربية الغربية من غير معرفة وثيقة بجون بروبيكر

John S. Prubacher الذي تنقل بين أمهات الجامعات الأمريكية : يعلم ويدرس، يناقش ويحلل، يشرف ويوجه، يؤلف ويعلق.

وبالفعل استطاع بروبيكر نشر دراسات مرموقة باللغة الإنجليزية غطى فيها فلسفات التربية قديما وحديثا، وحلل فيها تاريخ التربية عالميا وغربيا..

وكل ذلك لا مشاحة فيه، ولا اختلاف حوله ..

إلا ان النقطة الجديرة بالمناقشة، والمعنية بالتحليل وردت في كتابه « فلسفات حديثة للتربية » عندما عالج الفلسفة الواقعية كتعبير عن فلسفة الرومان مستنتجا أن كلا من الكاثوليكية والبروتستانتية ليس لهما فلسفة تربوية..

وكل ذلك أمر لا يعنينا الآن، وليس موضع البحث فموضع البحث النقطة التالية..

لقد استنتج بروبيكر من المقدمة السابقة : ـ

« أن سائر الاديان كالإسلام والبوذية ليس لها أى فلسفة تربوية، بل ان معتنقى كل منهما لم يوجهوا عناية تذكر للتأليف التربوي، بل وجهوا معظم اهتمامهم لشرح ديانتهم، ووصف طريق النجاة.. »!!(١٥)

ولتأييد وجهة نظره استشهد بروبيكر بدراسة عن الإسلام..

والغريب أنه وقع في تناقض شكلى وموضوعى : ـ

فلقد استشهد بدراسة مفكرنا الفلسطيني الراحل الدكتور عبداللطيف طيباوى(١٦) والتي تحمل عنوان : Philosophy of Moslem Education

وكأن بروبيكر بذلك استشهد بدراسة تحمل عنوان « فلسفة التربية الإسلامية » لينكر وجود فلسفة للتربية الإسلامية!!

وبصرف النظر عن الفروض والافتراضات، والظنون والاحتمالات فإن بروبيكر وقع في خطأ منطقى سهل ويسير : ـ

فلقد وضع مقدمة صغرى خاصة بالبروتستانتية والكاثوليكية..

ثم بنى عليها مقدمة كبرى خاصة بكل الديانات..

ثم استنتج منها نتيجة تتعلق بالإسلام وغيره من الديانات!!

بطبيعة الحال هذه الدراسة الموجزة لا تحاكم « بروبيكر » صوريا أو وضعيا ولكنها تكشف بإيجاز وتكثيف على ان بعض العمالقة الأجانب يرتكبون أخطاء فادحة بدون تعقيب أو رد..

فلقد عمم نتيجة جزئية على كلية، فامتد من ديانته إلى سائر الأديان، ومثل هذا التعميم ينطبق عليه وصف الشيخ الدكتور « صبحي الصالح » : -

« ان المفكرين الأجانب كما يحلوا لهم يخصصون التعميم، ويعممون التخصيص »(١٧)

هذا فيما يتعلق بالتناقض الشكلي الصوري الذي وقع فيه بروبيكر، أما فيما يتعلق بالخطأ الموضوعي الفني داخل دعوته، فكاتب هذه السطور ليس بحاجة إلى سرد قائمة طويلة بالكتب والرسائل التي صنفها المفكرون والمعلمون المسلمون في شئون التربية والتعليم، والتأديب والتهذيب، للصغار واليافعين، والعامة والأمراء ويكفى أن أصحاب الحوانيت في قرطبة كانوا يرفضون تشغيل الصبيان من غير إتقان للقراءة والكتابة، في حين أنهم سيعملون في حرف لا تحتاج إلى قراءة وكتابة!!

مثل هذه الحضارة يستحيل أنها لم تول التربية عناية تذكر وللتأليف التربوي اهتماما واضحا كما زعم بروبيكر.

وللمرة الثانية هذه الدراسة لا تحاكم كل فكر بروبيكر أو كل إنتاجه، فللرجل بحوثه الثرة، وجهوده الفنية في ميدان التربية فلسفة وتاريخا، إلا ان المقصود أنه وغيره من الأساطين يرتكبون أخطاء فادحة، مقصودة وغير مقصودة عند معالجة قضايا التربية الإسلامية، ليس عن جهل أو تقصير، بل عن عداء قديم وعقد لا شعورية تكبل الخطى، وتعثر التفسير.

٧ - تناقض الأهداف المدنية والدينية في مؤسسات التعليم

أكدت دائرة المعارف البريطانية أن هناك صراعا محتدما بين الأهداف الدينية والمدنية داخل مؤسسات التعليم الإسلامي. وظل هذا الصراع ملتهبا حاداً لم يمكن فضه، أو التخفيف من

حدته[١٨] ، إلا أن الدائرة لم توضح لنا نوع هذا الصراع ومداه، وأسبابه ودوافعه، وآثاره ونتائجه.

وفي تقدير كاتب هذه السطور أن التفسير السابق يحمل نوعا من الإسقاط النفسى : ـ فالمفكر الغربي يسقط انطباعاته عن عصوره الوسطى المظلمة ليسربل تاريخنا بخرق سوداء، وسحب داكنة..

فالمفكر الغربي ـ صريع التمركز حول الذات ـ يتصور أنه عندما كان يخيم الظلام على أوربا، فلا بد أنه خيم على العالم كله ! ! وقليل من المفكرين الغربيين استطاع تجاوز هذه الهوة الثقافية، التي تسمى اصطلاحا بالعمى الثقافي Cultural Blindness

صحيح أن بعضهم ينظر إلينا بنظرة أبوية مفعمة بالرحمة والعدل، والشفقة والحسرة إلا ان هذه النظرة قد تحمل بذور طمع أو رغبة تسلط : ـ

بذور طمع في مستعمرات قديمة تتدفق منها الآن الخيرات وتتفجر الموارد..

ورغبة تسلط للسيطرة على مناطق نفوذ جديدة بالسيطرة الثقافية والغزو الفكري، بدلا من الاحتلال العسكري والتسلط السياسي..

وحتى إذا كانت نظرة المفكر الغربى أبوية خالصة مجردة عن الهوى والمصلحة، فانها تحمل رغبة كل أب في التسلط والوصاية ! !

وفي تقديري أن بعض الكتابات الغربية المنصفة الهادئة تحمل في تضاعيفها وصايا الأبوة، وشعور أى أب بأن ابنه عاجز عن الرأي السديد والقرار الرشيد ! !

هذه المشاعر يحس بها ـ أحيانا ـ الذي يتعامل مع المفكرين والخبراء الغربيين في ميادين الحياة المختلفة، فمها أخلصوا وآمنوا بقضايانا إلا أنه يظل في داخلهم إحساس مبهم وشعور غامض بأننا ما زلنا في مرحلة « المراهقة الفكرية » ولا بد لنا من مرشد وموجه.. ولا بد من الاعتراف ـ بدون خجل أو تردد ـ أننا كثيرا ما نشجع الغربيين على تدعيم هذه الفكرة سواء بقصورنا في التخطيط والإنجاز، أو بمشاعر النقص التي تسربت وترسبت في شخصيتنا الفردية والقومية..

مجمل القول أن المفكر الغربي ـ غالبا ـ ما ينظر إلى الشرق وتجربته، الإسلام ومعجزته من خلال نظرته الخاصة، وبيئته التاريخية، من هنا قيل ـ بحق ـ أن ما يكتبه المسلم عن الإسلام لا بد أن يكون فهمه له وتعبيره عنه أقرب للحقيقة وأدق في الوصف من كتابات غير المسلمين(١٩) حتى مهما حاولوا التجرد والإنصاف.

ولا يعنى هذا التحليل الجحود والنكران، فبعض المفكرين الأجانب مهروا في عملهم وأتقنوا في صنعهم وكان لهم فصل ريادة واكتشاف الكثير من كنوز ثقافتنا المعنوية والمادية، لكن المقصود فقط التأكيد علىٰ ندرة وجود مفكر غربى تَمثَّلَ العالم الإسلامي تمثلا صحيحا بعيدا عن عواطف الشفقة والتحسر، رغبة التسيد والسيطرة، ناهيك عن أجهزة المخابرات وأروقة العمل السرى..

٨ ـ منع تعليم البنات سورة يوسف!!

في كتاب هيوراث دن Heyworth Dunne «مقدمة لتاريخ التربية في مصر الحديثة» إشارة عن تعليم البنات في مصر قبل القرن الثامن عشر. وقد وردت فيها الفقرة التالية : ـ

«بالاضافة إلى التعليم التقليدي للصلاة، فان الفتيات الصغار يعلمن بالسماع سورا من القرآن الكريم، إلا أن التقاليد تمنع تعليمهن بعض السور وبخاصة سورة يوسف»..(٢)

ونظرا لغرابة هذه الفقرة فقد حاولت تتبع جذورها وأصولها فلم أجد لها أثرا في كتب تاريخ التعليم.. ثم سألت بعض الثقات المختصين بالعلوم الشرعية فلم يؤكدها أحد، بل نفاها الجميع. والدليل على ذلك ان آلافا وملايين من الفتيات ـ في مصر وغيرها ـ يحفظن القرآن الكريم بكامله بدون حذف أو منع..

ورغم ان «هيوراث دن» قضى سنوات طويلة من عمره في أرجاء العالم الإسلامي وقرأ وبحث، وقابل وناقش الكثيرين إلا انه لم يوضح لنا المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة مما يسهل طريقة مراجعتها والتأكد من صحتها أو خطئها، والذين تعاملوا مباشرة مع هيوراث دن في الأوساط العربية، والجامعات البريطانية لم ينكروا جهده وعمقه، إلا انهم لاحظوا فيه المكر

والدهاء، والهوى والغرض. وفي حدود معلوماتي أعلن هيوارث دن إسلامه وتسمى باسم « جمال الدين » فجزاه الله كل الخير، إلا ان طول عمله مع أجهزة المخابرات البريطانية في منطقة الشرق الأوسط عمقت في ماضيه بعض المصالح والأغراض بعيدا عن دائرة العلم والبحث.

كانت هذه الأخطاء السابقة مجرد نماذج وأمثلة أخذتها من بين أربعة مصادر أساسية في تاريخ التربية والتعليم، كتبت باللغة الانجليزية وتعلم عليها مئات وآلاف من الأساتذة والطلاب:.

والمؤكد أن هناك كتبا أخرى حافلة بأخطاء أفدح واتهامات أشد. من هنا تأتي ضرورة أن نقدم للعالم كله دائرة معارف تمثل العالم الإسلامي بأقطاره وشعوبه، أغلبياته وأقلياته بحيث تضم أحدث المعلومات، وأدق التفاصيل بعلمية وأمانة، ونزاهة وموضوعية بحيث يجد القارىء الأجنبي مصدراً موثوقا به يعتمد عليه ويرجع إليه في لغات عالمية متعددة، وبأقلام مسلمين أتقنوا فروعهم وتمسكوا بدينهم.

الهوامــش

(١) Elmer Wilds & Knneth Lottich. The Foundations of Modern Education. Third Edition. Holt, Rinehart and Winston Inc. U.S.A. 1962, p. 144.

(٢) Ibid. p. 155.

(٣) Ibid. p. 145.

(٤) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق. ترجمة عمر فروخ. دار العلم للملايين. الطبعة الثانية ١٩٧٤ ص٦١.

(٥) Elmer Wilds & Knneth Lottich, Op. Cit. p. 147.

(٦) Ibid. p. 144.

(٧) هذه الفكرة أكدها كثير من القدماء من ذلك :
- القفطى في إخبار العلماء بأخبار الحكماء..
- والشهرستاني في الملل والنحلل..
- وحسن صديق خان في أبجد العلوم..
- وابن خلدون في المقدمة..

وغير ذلك كثير..

(٨) علي حسن عبدالقادر. نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي الطبعة الثالثة. دار الكتب الحديثة. القاهرة. ١٩٦٥ ص٢.

(٩) مصطفى عبدالرزاق. تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية. الطبعة الثانية. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. ١٩٥٩.

(١٠) إبراهيم بيومى مدكور. في الفلسفة الإسلامية ـ منهج وتطبيق. الجزء الاول. الطبعة الثالثة. دار المعارف. القاهرة. ١٩٧٦. ص٢٥.

(١١) علي سامى النشار. مناهج البحث عند مفكرى الإسلام واكتشاف المنهج العلمى في العالم الإسلامي. الطبعة الثانية. دار المعارف. القاهرة. ١٩٦٥. ص

(١٢) Encyclopaedia Britannica, History of Education, Vol. 6, 332.

(١٣) صالح أحمد العلي. مشاكل تتطلب الحل في اعادة كتابة التاريخ العربي. مجلة الباحث. العدد الثالث. السنة الثالثة. بيروت. ص ٣٤ ـ ٣٥.

(١٤) أبو حيان التوحيدى. الامتاع والمؤانسة. تصحيح وضبط أحمد أمين وأحمد الزين. الجزء الأول. المكتبة العصرية. بيروت. ص ١١٢.

(١٥) John S. Prubacher, Modern Philosophies of Education, Fourth Edition. McGraw Hill, N.Y. 1969, p. 353.

(١٦) الدكتور عبداللطيف طيباوى ـ رحمه الله ـ من الع مفكرينا الفلسطينيين الذين اقاموا خلال الثلاثين عاما الماضية في الجامعات البريطانية مع زيارة للجامعات الامريكية. وتخصص في شئون التربية والتعليم مع ارتباط وثيق بالتراث الإسلامي والحضارة العربية. وتوفي منذ ما يقرب من عامين إثر صدمة سيارة في بريطانيا. وقد أسهم في تعميق الدراسات التربوية الإسلامية في الجامعات التي عمل بها. واشرف ووجه عشرات الباحثين في رسائلهم واثناء كتابة بحوثهم.

(١٧) لويس جرديه وجورج شحاته قنواتى. فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية. ترجمة صبحى الصالح وفريد جبر. الجزء الثالث. دار العلم للملايين. بيروت. ١٩٦٩. تعقيبات صبحى الصالح في نهاية الجزء الثالث. ص ٣٢٨.

(١٨) Encyclopaedia Britannica, Op. Cit. p. 333.

(١٩) محمد فتحى عثمان. المستشرقون المعاصرون في تجربة النقد الذاتي. مجلة العربي. نوفمبر ١٩٧٩. العدد ٢٥٢. ص ٣٩.

(٢٠) I. Heyworth Dunne, An Introduction to the History of Education in Modern Egypt. Frank Cass & Co. Ltd. London, 1968, p 14.

* * *

ملخص الدراسة

اختار الكاتب أربعة مراجع انجليزية لكتاب تربويين مرموقين واكتشف بين ثنايا كتبهم عدة أخطاء تتصل مباشرة بالإسلام والمسلمين وهذه الاخطاء يمكن اختصارها فيا يأتى : -

ان القرآن الكريم من صنع الرسول عليه الصلاة والسلام، والخلط بين القرآن والحديث، وانتشار الإسلام بالسيف، والمسلمون مفسرون أكثر منهم مبدعين، وأن الترجمة هي السبب الأول في نهضتهم تعليميا، وان الإسلام خال من الفلسفة التربوية، وتناقض الأهداف داخل مؤسسات التعليم الإسلامي، وأخيرا مع تعليم البنات سورة يوسف!!

وحاول الباحث الكشف عن بعض الاسباب النفسية والتاريخية التي تحيط بالكاتب الغربي عند كتابته في شئون المسلمين مما يدفعه لارتكاب اخطاء فادحة، بقصد ومن غير قصد.

○○○

● Summary of the Study ●

The Author Dr. Hassan M. Hassan - Assistant Professor of Education at Ain Shams University selected four English References in the History of Education. The first was "the Foundations of Modern Education" by Wilds and Lottic. The second was the "Encyclopaedia Britannica" article about History of Education. The third was "Modern Philosophies of Education" by John Probacher, and the last one was "An Introduction to the History of Education in Modern Egypt" by Heyworth Dunne.

Dr. Hassan picked up English vital mistakes in these books directly related to Islam and Moslems. Finally, he suggested Moslem Encyclopaedia explain our point of view objectively and deeply.

أخي المواطن .. ان المكاتبات الرسمية، والمعاملات الحكوية والاوراق التي تحمل مخاطبات مهما كانت نوعيتها .. انها بعد فترة من الزمن تعتبر وثائق يمكن الاعتماد عليها كأحد العناصر الهامة لكتابة التاريخ .. فبادر أخي الكريم لتقديم ما بحوزتك للدارة ..

«مع تحيات دارة الملك عبد العزيز »